حُب الوطن في شعر إبراهيم طوقان

مكيه شريفي
طالبة الدَكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية فرع آبادان ـ إيران
الأستاذ المساعد الدَكتور
محمد جواد إسماعيل غانمي
قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية فرع آبادان ـ إيران
jghnemy@yahoo.com

Patriotism in the Porty of Ibraheem Toqan

Makyia Sharify
PhD candidate in Arabic L.& L./Azad Islamic University/
Abadan - Iran
Asst. Prof. (PhD) Mohammad Jawad Ismaeel Ghanimy
Department of Arabic Language and Literature/Azad University/
Abadan - Iran

الملخص:-

إذا تصفحنا ديوان ابراهيم طوقان نجد قصائده الوطنية تطفح بالإحساس المرهف، لأنه عاش قضايا بلده، فعكست قصائده الإحساس العميق بالنسبة إلى الوطن، وتخليص من اعلال الإستعمار فكانت قصائده نداء ات صارخة يحثا فيها أنباء الوطن على خوض النضال ضد الكيان الصهيوني وتبيين قيمة تراب الوطن واستحقاقه بالتضحية في سبيل تحريره وإثارة الشعور الوطني في أبناء الشعب.

ايضاً نري أنه كيف جعلا الشعر ناقلة صالحة في الدعوة إلى قضاء فريضة الدفاع من الوطن اتجاه كل ظالم متعدي لا سيما الكيان المحتل فطوقان قام بإثارة القوة الدفاعية في نفوس أبناء شعبهوا كما حثوا على الحركة الفعالة في المجتمع، فلذا نحن في هذا المقال قمنا بدراسة أشعار ابراهيم طوقان حتى نبين وجهة نظر الشاعر اتجاه حُب الوطن. وفة أشعار ابراهيم طوقان الأصوات الصارخة في إرجاء العالم باسم الحرية والوطن، وجدنا هم اهتم بقضية الوطن وجعل في أعلي السلم من حيث القيمة وجعل التفاني في سبيل تحرير الوطن امر واجب ومحبوب.

المفردات الرئيسية: الوطن - الحُب - الشعر - ابراهيم طوقان.

Abstract:-

If we browse Diwan Ibrahim Toukan, we find his national poems blowing with a sense of shame, because he lived the issues of his country, and reflected his poems sense Deep in the homeland, and the decolonization of the Declaration, his poems were blatant calls urging the nation to fight The struggle against the Zionist entity and the value of the land of the homeland and its entitlement to sacrifice in order to liberate and raise the national feeling in the people We also see how it made poetry a valid carrier in calling for the elimination of the defense from the homeland in the direction of every oppressor, especially the entity The occupier of Fattouqan raised the defensive power of the people of Abu Dhabi and urged effective movement in society By studying the poems of Ere'aim Toukan so that we can show the poet's point of view towards the love of the homeland. The words of Abraham Toukan are loud The deferment of the world in the name of freedom and the homeland, we found that they are interested in the cause of the homeland and made at the highest level in terms of value and make dedication in the way Liberation of the homeland is a duty and a favorite

Key words: home, love, poetry, Abraham Toukan.

المقدمة:ـ

عندما بحثنا حول مفهوم الوطن وحُبهوا رأينا الإنسان يتعلق أو يرتبط برقعة من الأرض وتصبح هذه الرقعة كأمه التي يولد منها ويفدي نفسه لأجلها وهذه الظاهرة (حُب الوطن) قد ظهرت في كافة أدب العالم وأدب العربي لا يخلوا من هذه الظاهرة ولو في العصر الجاهلي كان العربي ليس له صلة بالأرض إلا في أمكنة خاصة من الجزيرة العربية ولكن عندما ظهر الإسلام وتشيدت المدن أصبحت هذه الظاهرة تتبلور في الشعر الإسلامي وخاصة عند الغزاة الذين إبتعدوا عن وطنهم ولهذه كثرة أناشيدهم في وصف الوطن وحُبه وأصبح العربي يحن إلى وطنه كحنين الطفل إلى أمه وعندما مرت وتقدمت السنين ازداد هذا الحب حرارة ونشدت قصائد غراء حول هذا المفهوم حتى وصلنا إلى عصرنا الحديث وفي هذا العصر وعندما هجمت قوات الإحتلال والمستعمرين لتطوق العرب والمسلمين بنير الإستعمار ولهذا نرى إنَّ هذه القوت اغتنمت تفوقها من ناحية الأسلحة والأدوات وايضاً جهل العرب وتخلفهم عن سائر الأمم وفرضت سيطرتها على الناس الضعفاء والمساكين واغتضبت بيوتهم وأراضيهم وأسست كيان غاضب منبوذ في بلاد العرب وقام هذا الكيان بتشريد الفلسطينيين من أراضيهم وأبعادهم عنها ولهذا نري بعض هؤلاء الناس قد لجاوا إلى الشعر وأصبح الشاعر مثل أجداده رائد حزبه وقومه ولهذا نري كثيرين من الشعراء ثاروا صارخين في وجه هؤلاء المحتلين ولهم قصائد رائعة في هذا المجال ونحن في هذا البحث نريد أن نبيين قصائد ابراهيم طوقان من ناحية المضامين التي استخدمه للتعبير عن هذا المفهوم(حّب الوطن).

ما هو الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر

(إن هذا القسم يظهر حّب الوطن والمواطن، ويبرز الإهتمام بالأحداث المختلفة والمشاعر الوطنية التي تنم عن الحرية والإباء والعزة، وذود المرء عن أرضه وعرضه وأهله، وكل ما يرتبط بحقوقه وكرامته، وأفراحه وآماله، تلك الأمور التي كانت وماتزال موضع اهتمام الإنسان العربي عامة، والشاعر خاصة، منذ فجر التاريخ، وتبرز بقوة في الشعر الفلسطيني المعاصر). (الفار،١٩٨٥:٤١)

مفهوم الاتجاه الوطني:-

(يتبين لنا من مراجعة معاجم اللغة أن كلمة اتجاه مأخوذة من أتجه، واتجهت إليك أي توجهت، لأن أصل التاء فيها واو. وقال ابن بري: (قال أبو زيد: تجه الرجل يتجه تجهاً والأصمعي يرويه تجهنا والذي أراده اتجهنا، فحذف الف الوصل واحدى التائين). (الزبيدي،١٣٠٦:٤٢٠)، (وجاء في تفسير أوضح أن أتجه إليه أقبل، وأتجه لفلان، رأي أي سنح، يقال: تجه يتجهُ تجهاً، وهي لغة فيه).(البستاني،١٩٣٠:٢٦٦١)

مفهوم الوطن(لغة)

(وجاء إن الوطن هو المنزل الذي تقيم به، وهو منزل الإنسان ومحله، وأوطنت الأرض ووطنتها توطيناً واستوطنتها أي اتخذتها وطناً.

ووطن بالمكان وأوطن: أقام).(ابن منظور، لا.ت:٩٤٩) ورد ايضاً أن الوطن هو المكان الذي يقيم المرءُ فيه ويألفه، ووطن المكان:

إتخذه وطناً يقيم فيه، ووطن نفسه على كذا أي مهدها له وحملها عليه. وأوطنه إتخذه وطناً. وتوطنت النفس على كذا: تحملته وذلت له. والوطن: هو المنزل الذي تقيم فيه، وربما سُكن للضرورة (رضا، ١٩٦٠:٧٧٨.٧٧٧) (وذكر كذلك أن الوطن هو مكان إقامة الإنسان ومقره، ولد به أو لم يولد ((معجم الوسيط، لا.ت:١٠٥٤) (وهذا من المعلوم أن الوطنية هي حّب الوطن والشعور بارتباط باطني نحوه. وهي أيضاً ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تُعرف باسم الوطن) (الحصري،١٩٨٤:٩) (أما حّب الوطن فهو يتضمن بطبيعة الحال حّب المواطنين الذين ينتمون إليه، كما أن حُب الأمة يتضمن- في الوقت نفسه- حّب الأرض التي تعيش عليها تلك الأمة. ويمكننا القول إن الاتجاه الوطني في الشعر هو المنحى الذي يعرض فيه الشعر شؤون الوطن والمواطنين: فيدعو إلى حّب الوطن وحمايته، والحفاظ على حقوق المواطن، ورد كيد العدو، وحفظ عهد الصديق، ويعكس مواقف النضال والقوة والعزة ضد المستغلين والمستعمرين، ويعالج مواطن الضعف والتقصير من جهة ثانية، ويدافع عن الجماهير وحقوقها وتراثها، وينافح عن مقدساتها وحريتها واستقلالها، بجرأة وعناد، من غير أن يؤثر فيه ترغيب أو ترهيب) (عطوات،١٩٩٨:٢٥٧)

مفهوم الوطن(اصطلاحاً)

تخفي كلمة الوطن وراء حروفها دلالات واسعة ومشاعر عميقة، ما يمنح لأي كان أن يبحر في أغوارها ويستكنه خفاياها، يدرك حقيقة الكلمة من تأصلت فط ذهنه عقيدة راسخة بأن حّب الوطن من الايمان، فجري هذا الحّب منه مجري الدم من العروق لذلك فإن مفهوم الوطن يختلف باختلاف المذاهب الفكرية والمعتقدات الدينية، فكل يعرف حسب منبعه الثقافي واتجاهه السياسي، ووفقا لمبادئه، ورغم ذلك يمكن القول أن كلمة الوطن تعني المنزل الذي يحل به المرء وينزل فيه مع أهله وعشيرته، لأن تجمع العرب قديما في بقعة ما، كان على أساس بشري قبلي لا جغرافي مكاني.(مريدن،١٩٦٦:٦٤) ومع مر الأيام تطورت كلمة الوطن وأصبحت تعني البقعة الجغرافية المعينة بحدودها وبشرها وتاريخها، وقوانينها وذكرياتها.(طنوس، ١٩٧٩:٢٦٥) ويكون أكثر شمولاً إذا قصدنا به الأمة الإسلامية...لأن العقدة هي الرباط الوحيد الذي يعوض وحدة اللون، والدم والتضاريس. (الرافعي،١٩٨٥:٦٣) ولعل هذا ما جعل عبد الحميد بن باديس يعطي للوطن أبعاد إنسانية اسلامية في قوله "من نواميس الخلق حّب الذات للمحافظة على البقاء...فالإنسان من طفولته يحب بيته، وأهل بيته و... وما البيت إلا الوطن الصغير فإذا ما تقدم شيئاً ما في سنه اتسع حبه، واخذت تتسع بذلك دائرة وطنه... وإذا غذي بالعلم الصحيح شعر بالحّب لكل من يجد فيهم صورته الانسانية وكانت الأرض كلها وطناً له وهذا وطنه الأكبر.(زغينة، ٢٠٠٥:٩٩) أما مصطفي كامل موجج اهيب الروح الوطنية فيرى: أن الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد والأساس المتين الذي تبني عليه الدول القوية.(قنانش، لا.ت:١٣)

فالوطنية عنده رابط يجمع شمل أفراد المجتمع وعاطفة بين أبنائه وشعور ينمو في النفس ويزداد لهبه في القلوب كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه.(نصوص،لا.ت:٥)

نبذة عن حياة الشاعر

ولد اشاعر ابراهيم عبدالفتاح داود طوقان عام ٣٢٣ للهجرة في مدينة نابلس، قلب فلسطين الشمالي وتعتبر مدينة نابلس التي أطلق عليها اسم "جبل النار "إبان حملة نابليون، مركزاً صناعياً وتجارياً ووطنياً منذ بداية هذا القرن.(النمر، ١٩٧٥:٤) وينتسب ابراهيم إلى

عائلة معروفة في المدينة، يمتد حضورها في مدينة نابلس إلى عام١٦٥٦م حيث حل التاجر رحال طوقان المتوفي بعد عقدين من حلوله في المدينة.(عباسي،١٩٩٠:٥٥) وبمرور السنين، أثبت عائلة طوقان حضورها وسيطرتها في المدينة والناحية، ما راكم الإحن والثارات والعدوات مع قبائل كان لها نفوذها في الناحية، كآل النمر وجرار وعبدالهادي والجيوسي. وإن عبدالفتاح طوقان والدا شاعر من أعيان المدينة ونشطائها الوطنيين، الذي تعرض للنفي الأمر الذي جعله عضواً منتخباً في قيادة حزب الكتلة الوطنية في الخامس من تشرين الأول ١٩٣٥، وأول الموقعين ضمن هيئة الإجتماع المنعقد في آب ١٩١٣، ضد مشروع الأصفر. وكان من ضمن الأعضاء الفلسطينيين في المؤتمر العربي القومي في بلدان- سوريا ١٩٣٧ وكان جده لأبيه، داود الآغا، حافظاً للتاريخ، ميالاً للأدب، ذواقة في الشعر والزجل الشعبي.(الحوت، ١٩٨١:٨٩٤، ٨٨٥، ٧١٣، ١٦٥) تلقي ابراهيم علوم الأبتدائية في المدرسة الرشادية الغربية في نابلس١٩١٤-١٩١٨، وفي العام١٩١٩دخل ابراهيم مدرسة المطران القسم الداخلي بمدينة القدس وبعد في عام١٩٢٣انطلق إلى الجامعة الأمريكية ببيروت للدراسة حيث أمضي ستة أعوام بعيداً عن نابلس وأجوائها الإجتماعية المنغفلة. ثم عاد إليها ليعمل مدرساً في كلية النجاح(١٩٢٠-١٩٢٩). بعدها عاد إلى بيروت ليعمل مدرساً في الجامعة التي تخرج منها، فدرس فيها عامين، إلا إنه اضطر - بعد أن الح عليه المرض - إلى العودة إلى نابلس، قاضياً عامين، خدم خلالهما مدة في دائرة المياه في بلدية نابلس. وفي عام١٩٣٦تسلم عمله الجديد، مساعداً لمدير الإذاعة بالقدس، حيث تزوج في العام الذي يليه من سامية عبدالهادي التي أنجبتله، جعفر وعريب. وفي تشرين الأول ١٩٤٠ اضطر ابراهيم لترك الإذاعة والسفر فوراً إلى العراق ليعمل مدرساً في دار المعلمين الرستمية، إلا إن المرض قد استفحل وتمكن منه، فنقل إلى المستشفى الفرنسي في القدس، حيث فاضت روحه إلى بارئها في الثاني من أيار١٩٤١.(طوقان، ١٩٥٤: ١٧و١٨)

المضامين في شعر إبراهيم طوقان

الشهيد في شعر ابراهيم طوقان

قصيدة (الشهيد) فإذا هي نشيد يمجد الشهادة والشهيد في ذكرى ثلاثة الشهداء الذين بذلوا ارواحهم ودمهم في حّب وحرية البلد وهم (فؤاد حجازي، محمد جمجوم، عطا

الزير) قد صور فيها الشهيد مقتمحاً الردي، رابط الجأش، متبسماً لا يبالي بالأذى ولا يثنيه الألم عن عزمه، نفسه طوع همته، تتحدي احمم والأعاصير وتضم في ثناياها هوج البحار وشم الجبال الرواسخ ويمضي في تصوير الشهيد سائراة في طريق العلا، طارقاً باب الخلود غير مبال بما ينتظره، سواء بلغه مكبلاً أو مجدلاً. والشهيد في شعره مثل أعلي في الإلتزام(فهو رهنٌ بما عزم) وهو قدرة لكل مواطن ونموذج للإنسان الذي سمت نفسه فوق كل عرض من أعراض الدنيا، فما عاد شيء يغريه سوي الموت وهكذا يتحول الشهيد في شعر ابراهيم إلى كوكب متألق، يسطع نوره في ظلمات المحن، فيبهر عيون الناس، ويوقظها من غفلتها، ويحرك في النفوس هم القضية الوطنية، فيبعث فيها القلق والأمل فيه، ويطهر قلوب من أظغانها ويضحي لحناً يطير في أفواه الناس وعلي شفاهم أما القصيدة.

عبس الخطبُ فأبتسمَ/وطغي الهولُ فأقتحمَ/ رابط الجأش والنُهي/ثابتُ القلب والقدم/ لم يبال الأذي ولم/ يثنه طاري ءُ الألم/نفسُه طوعُ همة/وَجَمَت دونها ألهم/ سارَ في منهج العُلي/ يطرُقُ الخلد منزلاً/ فهو رهنٌ بلا عزم/ ربُما غالهُ الردي/ وهُو بالسجن مُرتهن/ لم يشيع بدمعة/ من حبيبٍ ولاسكن/ أنه كوكبُ الهدي/ لاحَ في غيهب المحن/ أرسلَ النور في العيون/ فما تعرفُ الوسن/ ورمي النار في القلوب/ فما تعرفُ الضعن/أي وجه تهلا/ يردُ الموتَ مُقبلا/ صعَد الروح مُرسلا/ لحنهُ يشيدُ الملا/ أنا لله والوطن.(طوقان،١٩٩٣:١٩٧)

التضحية في سبيل الوطن

وأطلق ابراهيم طوقان نشيد(البراق) في هذه المناسبة، موكداً ملكية المسلمين له، وحفاظهم عليه، وداعياً إلى حمايته والتضحية في سبيله، وغداة حادث حائط البراق الذي نشا عندما تحدي اليهود المسلمين، وأتوا إلى ما يسمونه(الحائط المبكي) ليثبتوا ملكيتهم له، زاعمين أنه هيكل سليمان واصطدموا بالمسلمين واشتبكوا معهم، وسقط عدد كبير من القتلى والجرحى من الطرفين، وسجن عدد آخر، نفذ حكم الإعدام شنقاً في ثلاثة من الأبطال يوم الثلاثاء من حزيران١٩٣٠، وهم فؤاد حجازي، عطا الزير، محمد جمجوم، ومما يذكر هؤلاء الأبطال الشجعان أخذوا يتزاحمون إلى حبل المشنقة فداءً لحرية وطنهم وشعبهم. (عطوات، ٢٩٩ :١٩٩٨)

لنا البراق والحرمَ/ لنا الحمي، لنا العَلم/ أرواحنا، أموالنا/ فدي البراق والحرم/ نحن الشباب المسلم/ والله لانسلم/ نموت أو نكرم/ فدي البراق والحرم/ لا تسمعوا كذب الوعود/ دوسوا على رؤس اليهود/ فدي البراق والحرم/ شبابنا سدوا الصفوف/ قوموا عليهم بالألوف/ الله ما أحلي الحتوف/ فدي البراق والحرم.(طوقان،١٩٩٣:٢٥٨)

أما قصيدة أخرى في حُب الوطن وهي قصيدة (إشتروا الأرض تشتريكم مِن الضيم) ومقصوده من الضيم هو الظلم بهذه القصيدة لو زعماءنا يصومون كما صام الزعيم الهندي المعروف غندي ربما يفيد هذا الصيام ويتواصل ويقول لا نريد زعماءنا في فلسطين يصومون عن الطعام لأنهم يموتون من الجوع بل نطلب منهم يعرضون عن بيع الأراضي وأنقاذ وطننا من الصهاينة وايضاً من خلال عملهم هذا يستطيعوا عند موتهم أن يدفنوا بهذه الأرض لكي تستريح جثمانهم ثم ينتقل إلى مدح الزعماء الذين حريصين على أرضهم ويهتمون به ويضهون أنفسهم لأجل وطنهم ويعطونه حقه ويصفهم بأنهم هم حماة البلاد وهم الذين يدعمون المقاومة وايضاً دعموا القائمين بهذا العمل الصالح لهذا نري أن موقف الشخص الشجاع إزاء المقاومة هكذا وفي البيت الأخير من القصيدة يدعوا الزعماء بالدعم المالي لهؤلاء الفلسطينيين ويقول لهم أن تعوض لكم هذه الأرض أموالكم إذا استطعتم أن تتوقفوا هذه المعاملات السوداء. وأما القصيدة وهي.

حبذا لو يصومُ منا الزعيم/ مثلُ(غندي) عسي يفيدُ صيامُه/ لا يصُم عن طعامه/ في فلسطين يموت الزعيم لا طعامه/ ليصُم عن عن بيع الأرض يحفظ/ بقعة تستريحُ فيها عظامُه/ بارك الله في حريص على الأرض/ غيور ينهي إليها إهتمامُه/ هم حُماة البلاد من كل سوءٍ/ وهُم معقلُ الحمي ودِعامه/آزروا هم بالمال فالأرض(صندوق)/ لمالكم، بل قوامُه/ إشتروا الأرض تشتريكم من الضيم/ وآتٍ مُسودة أيامه..(طوقان،١٩٩٣:١٦٩)

الأمل بالحرية

يتغنى ابراهيم طوقان بالحرية وحُب الوطن الذي هو فلسطين أرض الجيل المقاوم والقلوب الواعية، نسمع التغني بالحرية من خلال الفاظ ابراهيم طوقان في هذه الأبيات، الأبيات المفعمة بما تحمل من أحساس عال بالمعاناة التي تهون في سبيل الوطن، فنرى أن ابراهيم طوقان رغم كل المشقات والموانع لم يستبعد الحرية ويري بذل كل ثمين في سبيل ها

جميل حتى(زف الشباب) إلى المعارك وبهذا الكلام الشاعر تسقط الهوة بين القول والفعل لأن زف الشباب يعني القتال وتفرق التائب في ساحات النضال، وهذا لم يكن إلا بوجود دافع قوي وهو الأمل بالحرية والصبر في تحققها والتوكل على الله في هذا السبيل الذي هو المعين وهذا الأمل بالحرية وتوكل على الله و ابراهيم طوقان يحكي هذا الأبيات من قصيدة (تفاؤل وأمل)

والله مدَ لكم يداً/ تعلو على أقوي يدِ/ وطني أزفُ لك الشبابَ/ كأنهُ الزهرُالندي/ لابدُ من ثمرلهُ/ يوماًوان لم يعقدِ/ رريحانة العلمُ الصحيح وروحُه الخلقُ الحسن وطني/ وأنَ القلبَ ياوطني بحبَك مُرتهن لا يطمئنُ/ فإن ظفرت بما يريدُ لك اطمأن. (طوقان، ٩٢ :١٩٩٣)

الأمل بالعودة إلى الوطن

نظرة ابراهيم طوقان على الأمل يقول يكون الإنسان متفائلاً مقبلاً على الحياة، فلا ينفعه البكاء إذا كان حائر العزيمة يشكو الزمان ولا يجد مخرجاً مما هو فيه، وعليه أن يكون ذو همة لمن يتعلل بعدم معرفة الطريقة التي يقاوم بها عقبات الحياة، وعليه أن يجعل من حكمته ومعرفته في الحياة دليلاً، فهي الأمل بالعودة لأجل حُب للوطن الذي يهديه السبيل وكذلك يجب أن يكون مقصده نبيلاً وذو منافع له و لقومه. ثم يلوم الشاعر من أفني حياته خانعاً ذليلاً يتعلل بالبكاء والأنين، ويرمي فشله على الزمان وأهله، بل المسؤولية عليه فيجب أن يقوم بأعباها وينتقض لا بأن يظل مستكيناً مكتوف اليدين ويقول في قصيدة تفاؤل والأمل.

كفك دموعكك ليس ينفعُك البكاءُ ولا العويل/ وإنهض ولا تشك الزمانَ فما شكا إلا الكسول/ واسلك بهمّتك السّبيلَ ولا تقل كيف السبيلُ/ ما ضَلَّ ذو أملِ سعي يوماً وحكمتهُ الدّليلُ/ كلا ولا خاب امرؤٌ يوماً ومقصدهُ نبيلُ/ أفنَيتَ يا مسكين عُمرَك بالناوهِ والحزن/ وقعدتَ مكتوفَ اليدين تقولُ حاربني الزّمن/ ما لم تقم بالعبي أنتَ فمَن يقوم بهإذن.(طوقان،١٩٩٣:٨٩)

حُب الوطن:

حُب الوطن في اشعار ابراهيم طوقان يحسب الحُب إلى الوطن هو جنة، يعني يمنح الوطن جنة مقدسة نعم هكذا يرتفع الوطن إلى مرتبة مقدسة ويصل إلى مستوى الجنة مكاناً هادياً عن التنازع مملوءة من الحُب والطمئنينة وما يصلح إلا المن هو اهل به. وهو هنا يعبر عن قضية عدم اغتصاب الوطن بالأستمداد من القدرة عن طريق وصف الوطن بالجنة لأن ما يدخل إلا من هو أهل أيضاً الوطن هكذا يحُب أن لا يدخله إلا من جدير بالورود ويعبر من خلال الأبيات المذكورة عن الوطن بأنه جنة، وإجلال والجمال والسناء والبهاء وفي هواء تكون الحياة والجنة والهناء والرجاء، كما لا يكون الحياة والهناء والرجاء إلا في الجنة ويكون الوطن، وطن الشاعر، مفرداً في الكون، في حسنه، ولا تقل سهولة ورباه عن الجنة. ورأينا إن الشاعر قاموا برفع الوطن إلى مستوى الجنة، والشاعر وصف حُبه بالوطن بالجنة التي يدهشه الورود بها والمكان الذي لا يسمح الدخول فيه إلا من هو أهل بالورود (الجنة)

وصف بالجنة لأن لا يكون الحياة والهناء إلا فيه فأي جنة تكون على وجه الأرض سوي الوطن هو الحنين الوحيد الذي يضم أبناء إلى صدره الدافي حتى يحسسهم بلأمان فهكذا يرتفع الوطن إلى مرتبة مقدسة وابراهيم يوصف حبهُ في قصيدة بعنوان(موطني)

موطني الجلالُ والجمالُ/ السناءُ والبهاءُ في رُباك/ والحياةُ والنجاهُ/ والهناءُ والرجاءُ في هواك/ هل أراك / سالما منعما وغانما مكرما/ هل أراك في علاك/ تبلغ السماك/ موطني/ (طوقان، ١٩٩٣:٢٦٤)

الدعوة إلى المقاومة

نظرة ابراهيم طوقان على الدعوة إلى المقاومة وفي هذا المجال يقول: الوطن قضية لا يستطيع أحد أن يستهان بها وهي على مدى التاريخ البشر كانت ملازمة البشر، وشعور الإنسان بها وأحاسيسه حولها، خلدت آثار ضخمة في الأدب العالمي وفي الأدب العربي ايضاً من صدر الإنسان ومنذ عهد الفتوحات وابتعاد العرب عن جزيرتهم ومواطنهم أندفقت مشاعرهم وأنشدوا قصائد لا مثيل لها وفي عصرنا هذا وعندما تكاليت النزعات السياسية وإزدادت همجية وتوحش المستعمرين أنبذت فئة من شعرا العرب وخصوصاً أبناء الشعب الفلسطيني وغنوا بقصائدهم الرائعة وذكروا وطنهم وحنوا إليه وهذا نري في هذه

القصيدة ابراهيم طوقان يحن إلى وطنه ويقول بإن هم صاحب هذا الوطن وليس للعدو، من هذا الوطن نصيب وأصبح هذا الوطن أمنية الشاعر وبهذا الوطن يكسب الشاعر العز والشرف ثم يتوجه نحو أبناء وطنه ويحثهم إلى النهوض لأجل الوطن بوجه أي متجاوز وأيضاً يوصيهم بإعتلاء وطنهم وأيضاً عليهم أن يحافظوا عن مجدهم حتى لا يمسه أحد ثم ينتقل إلى الوطن ويصفه بأوصاف مختصة به مثل أن وطن الشاعر بالمجد لامثيل له بالعالم ثم يصف طبيعته الخلابة وهكذا نري الشاعر بمعنى الكلمة يحُب وطنه ويحن إليه ويصفه بأوصاف رائعة كما يصف المنظرة الرائعة التي تحرك أحاسيس الشاعر وينشد بأوصاف شعر مذهل، وابراهيم طوقان مايجعل هواهُ عشقُه للوطن معبراً بل جعلها أملأ لتحرير الوطن وإنهزام عدو. أما قصيدة (وطني)

وطني أنت لي والخصم راغمُ/ وطني أنت كل المني/ وطني إنني إن تسلم سالمُ/ وبك العز لي والهنا/ ياشبابنا إنهظوا/ أن ننهضا/ ولنعلَ الوطن/ فلنعمَ الوطن/ وإنهظوا وإرفعوا عاليا/ مجدكم خالداً ساميا/ وطني حسنه في الكون مفردُ/ جنة سهله والربي/ ياشبابنا إنهظوا/ أن ننهضا/ولنعل الوطن/ فلنعم الوطن/ وإنهظوا وإرفعوا عاليا/ مجدكم خالداً ساميا.(طوقان، ١٩٩٣:٢٥٩)

المستقبل والوطن:

نظرة ابراهيم طوقان فهي قضية المستقبل والوطن، تبدوا فكرة إرتباط الوطن والمستقبل واضحه وضوحاً تاماً في مكانين إثنين من القصيدة (لقد جنيت على الأحفاد) - (إترك لقبرك أرضاً) فهو عندما يقول جنيت على الأحفاد بين لنا أن الوطن هو المستقبل فمردة الأحفاد تعبر عن هذا الأمر وجدير بالذكر إن ابراهيم طوقان من خلال قوله هذا يؤكد على إن الوطن وايضاً وجود القبر حقيقة مؤكدة على إن الوطن ليس ملكاً يعيش على ترابه فقط. إنه ايضاً ملكاً للأجيال القادمة ووجود الأحفاد يؤكد هذا التأويل.

لكن ابراهيم طوقان مايقنع بالتعبير عن الوطن بأنه مستقبل فقط ولو قوله واختيار الفاظه تبين كل أبعاد الزمان. وفيما يتحدث عن بلاد تشكل وطناً بسكنه أصحابه المزارعون الذين يقيمون، حتى يمارسوا مهنتهم على أرض وأخذ ممتلكيها يبيعونها، علما بأنها أعلى

من كل شيء فهي لا تقدر بثمن، ولا ولا يساويها المال ولا الذهب، وتأتي القصيدة على ذكر أصحاب البلاد والأعداء، ويصبح الوطن، هذا أكثر من أرض أنه يشتمل على من يقيمون عليها. وكما ذكرنا فإن طوقان كتب عن وطنه يطمح فيه طاعمون من ناحية، ويتعدد سكانه الأصليين من ناحية ثانية. وتصور القصيدة فئة واحدة من أبناء الوطن هي باعة الأراضي، ولا تأتي على ذكر غيرهم، وإن كان المرء يستشف أن هناك من يقف ضدسلوكهم هذا، ويتمثل هنا في صوت الشاعر، وتقول لنا القصائد الأخرى أن هناك فئات ندافع عن هذا الوطن يباع الوطن، إذن، ويشتري أيضاً ويضحي من أجله ويفرح أصحابه ويحزنون. أما القصدة فهي.

باعوا البلاد إلى أعداهم طمحاً/ بالمال لكنما أوطانهم باعوا/ قد يعذرون لو أن الجوع أراغمهم/ والله ما عطشوا يوماً ولا جاعوا وبُلغة العار عند الجوع تلفظها/ نفسٌ لها عن قبول العار رداعُ/ تلك البلادُ إذا قلت: إسمُها(وطنٌ)/ لا يفهمون، ودون الفهم أطماع/ أعداؤنا، منذ أن كانوا،(صيارفة)/ ونحن، منذ هبطنا الأرض، زارع/ لم تعكسوا آية الخلاق، بل رجعت/ إلى اليهود بكم قربى وأطباعُ/ يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة/ ولا تعلمت أن الخصم خداعُ/ لقد جنيت على الأحفاد، والهفي/ وهم عبيدٌ، وخُدامُ، وأتباعُ/ وغرك الذهبُ اللماعُ تُحرزُهُ/ إن السراب كما تدريه لماعُ/ فكر بموتك في أرض نشأت بها/ وأترك لقبرك أرضاً طولها باعُ/.(طوقان، ١٩٩٣:١١٠)

قيمة الإنسان والوطن:

ابراهيم طوقان يجعل الوطن قيمة الإنسان فيعبر إن لا تصبح للإنسان قيمة دون وطن، فهو ينظر إلى الوطن بأنه عنوان الإنسان يسجل ماضيه وينشد نشيد مستقبله ونظرة الشاعر في الأبيات المذكورة ما يكون الوطن إلا في أول درجة من سلم القيم، فلا قيمة الإنسان بدونه. الشاعر أيقن أن لا شيء يعدل الوطن ويضعه فوق المصحفة الذاتية وفوق الأشخاص والأحزاب، ويجعل الخدمة بقومه ووطنه في كل غايتة ويقدم بخدمتهم دون أن ينتبه إلى حزب خاص ويطمح بمصلحة ذاتية. فهو يؤكد على حقيقة مقدسة وهي تفضيل الوطن على كل شيء وحُبه نري أن الشاعر يكسر القيود ويرتفع عن المصلحة الذاتية، ويبرهن هذا الإدعا قول شاعر

هذا: إن قلبي لبلدي لا لحزب أو زعيم. فهنا تصبح قيمة الإنسان الحقيقة ببذل وإنفال كل ما يملك في سبيل الوطن وتفضيله على كل شي.

إن قلبي لبلادي لا لحزب أو زعيم/ لم أبعه لشقيق أو صديق ليس مني لو أراه مرة غير سليم/ ولساني كفؤادي نيط منه بالصميم وغدي يشبه يومي وحديثي كقديمي/ لم أهب غيظ كريم لا ولا كيد لئيم غايتي خدمة قومي بشقائي أو نعيمي. (طوقان، ١٩٩٣:٢١٧)

نتائج البحث:ـ

الشاعر الفلسطيني(ابراهيم طوقان) المعروف بـ(شاعر المقاومة) وشاعر(الوطن) شاهد حوادث المؤلمة من الإحتلال والإضطهاد في فلسطين وقد انعكس هذا الامتعاض والتّبرم في قصائده وهي صرخة معبرة عن آلامه من أجل الحُب والولاء للوطن المضطهد. لا شك إنّ حُب الوطن هو الدافع الذي يرتمي الشعراء من أجله في بحر مكافحة الكيان المحتل شاهدينا عليها بشعرهم ومشاركين فيها بأقلامهم حتى ملأة أشعارهم الوطن آذان العصور. إن تعلق بالوطن واضح بكل الوضوح في شعر شعراء على الخصوص في أشعار ابراهيم طوقان. إن السمة السائدة في أشعاره الوطنية هي التنديد والرفض والاستنكار للظلم السائد من العدوان الغاشم الغادر على بلاده وكانت قصائده تبياناً لمعاناة الشعب ومتاعبه. إنما هذه المعاناة للشعب هي نتيجة الأوضاع السياسية المتأزمة والأوضاع الاجتماعية المزذرية والواقع المرير في العالم العربي.

قائمة المصادر والمراجع

١- الحصري، ساطع: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لا. ط١٩٨٤م.

٢- زغينة، محمد: شعراء جمعية العلماء المسلمين، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، لا.ط ٢٠٠٥

٣- مريدن، عزيزة: القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، دار القومية، لا.ط ١٩٦٦

٤- طنوس، واهيب: الوطن في الشعر العربي، منشورات جامعة حلب، لا.ط ١٩٧٩م

٥- قنانشي، محمد: المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، لا.ط، لا.ت

٦- نصوص، اديب: وطنيون و أوطان، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، لا.ت

٧- الرافعي، مصطفي: الاسلام نظام انساني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا.ط ١٩٨٥

٨- الحوت، نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١

٩- الزبيدي، أبوالفيض السيد مرتضي الحسيني الواسطي: تاج العروس، ج٧و٩، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦

١٠- فروخ، عمر: شاعران معاصران، ١ط؟ منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م

١١- البستاني، الشيخ عبدالله: البستان، ج٢، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٠م

١٢- النمر، احسان: تاريخ جبل النار، المطابع التعاونية، نابلس، لا.ط ١٩٧٥

١٣- العباسي، مصطفي: تاريخ آل طوقان في جبل نابلس، مطبعة دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، شفا عمرو، لا.ط، ١٩٩٠م

١٤- عبد عبدالله عطوات، محمد: الإتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر١٩١٨ إلى ١٩٦٨، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٥- طوقان، فدوي: أخي ابراهيم، دار العودة، بيروت، لا.ط، ٢٠٠٥م

١٦- الفار، مصطفي محمد: الشاعر أبو سلمى أديباً وانسانياً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

١٧- طوقان، ابراهيم: الاعمال الشعرية الكاملة، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية،١٩٩٣.

١٨- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج٢، المكتبة العلمية، طهران، لا.ط، لا.ت

١٩- رضا، الشيخ أحمد: معجم متن اللغة، مجلد٥، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا.ط، ١٩٦٠م.